

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم

اللغة الأردية، النشأة والتاريخ

مدخل

تعتبر اللغة الأردية من اللغات الحديثة التي نشأت في شبه القارة الهندو باكستانية، وذلك لا يعني أن الناطقين بها قالوا لها: كوني، فكانت، بل إنها مرّت بالمراحل التي يجب أن تمر بها لغةٌ ما لكي تصبح لغة، واللغة – أيُّ لغةٍ كانت- كما يتحدث عن تكوينها الدكتور المولوي عبد الحق في مقدمة كتابه الأردّي (قواعد اللغة الأردية)^(١): أنها ليست باختراع، ولا يمكن لأحد أن يخترع لغة ما، بل إنّ مراحل تكوينها مثل مراحل تكوين البذرة حتى تصبح شجرة مثمرة.

يقول الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم^(٢): [..اللغة الأردية إحدى لغات الفرع الآري^(٣) للغات الهندو أوروبية^(٤)، وأكبر لغات شبه القارة الهندو باكستانية التي يزيد تعدادها عن المليار نسمة يتحدث منهم باللغة الأردية ويفهمها ما لا يقل عن ثمانمائة مليون من أهل هذه البلاد (الهند-باكستان-نيبال-بنجلاديش) ما بين مسلمين ومسيحيين وهندوس وسيخ وغيرهم من أصحاب الديانات المنتشرة في تلك الرقعة من العالم...

(١) قواعدُ أُرْدو صفحة: ١، والمولوي عبد الحق هو السكرتير الفخري لمجلس تطوير اللغة الأردية، رحمه الله، وله مساهمات فعالة وكتب يتحدث فيها عن اللغة الأردية وتاريخها، ولد في عام ١٨٧٠م، بدأ حياته الأدبية عام ١٨٧٧م، عين رئيساً لقسم اللغة الأردية في الجامعة العثمانية حتى عام ١٩٢٨م، أقام مجيدراً آباد ٤٣ سنة، وخدم اللغة الأردية حتى آخر عمره، ولذا لُقّب بأبي اللغة الأردية. (من موقع: www.tebyan.net).

(٢) رئيس قسم اللغة الأردية بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر فرع البنات بالقاهرة مصر.

(٣) النسبة إلى الآريين وهم قوم بيض غزوا شبه القارة الهندية عام ١٥٠٠ ق.م تقريباً من جهة الشمال ووسطوا سلطانهم على المنطقة كلها، وامتدت سيطرتهم حتى عام ٦٠٠ ق.م. (د/أحمد محمود السادّاق- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم - الجزء الأول - القاهرة- مصر ١٩٥٧م- وانظر كتاب هندوستان پر اسلامي حكومت- مؤلفه شوكت علي فهمي ص ٤٤- دهلي - الهند ١٩٩٤م).

(٤) ومنها انبثقت الفارسية القديمة (بارسي باستان) ولغة الأوستا (زبان اوستائي).

ويعود تاريخ نشأة هذه اللغة- طبقاً لبعض الآراء- إلى ما قبل الميلاد بخمسمائة عام^(١)، وبالطبع كانت صورتها في ذلك الوقت وحتى قبل دخول المسلمين غير العرب^(٢) إلى شبه القارة الهندو باكستانية فاتحين بقيادة محمود الغزنوي من ناحية الشمال غير ما هي عليه اليوم^(٣).

.... وهي امتزاج للحضارات العربية والفارسية والهندية، وعلامة منفردة لها، اجتمعت فيها صفاتها واتحدت فكانت قالباً واحداً، وقد نشأت إثر الضرورات الاجتماعية والثقافية والسياسية، واتخذها المسلمون لغتهم لضرورتهم إليها، فانتشرت معهم في شبه القارة الهندية^(٤).

... وهي لغة سهلة مرنة تقبل ألفاظ اللغات الأخرى وتفسح لها المجال في قاموسها دون أن تزاحمها كثيراً، وتظل تلك الألفاظ مُعبّرة دون غيرها رغم وجود مرادفات لها ذات المعنى، لكن لا تظهر المعنى إلا بتلك اللفظة التي وردت من لغة أخرى...

[... وهي لغة اجتماعية نشأت بامتزاج اللغات المحلية في شبه القارة الهندية، وباشتراك اللغتين العربية والفارسية - مع لغات أخرى إضافية^(٥)]-، وتعتبر أيضاً من اللغات الثلاث الأولى بعد اللغة الصينية والإنجليزية من حيث عدد المتحدثين، وكذلك من حيث استماع الناس إلى النشرات الإذاعية بعد اللغة الإنجليزية والفرنسية.

(١) يقول بهذا الرأي بعض من علماء اللغة الأردية مثل جريز سن- جولزبلاك وشترجي، ويربطون اللغة الأردية بلغة "اب بهرنش" التي كان يتحدث بها في المنطقة العلوية لنهرى "كنكا وجنا" منذ ١٥٠٠ عام قبل الميلاد. (انظر د/ شوكت سبز واري- اردو لسانيات ص ١٤- كراتشي- باكستان ١٩٦٦).

(٢) بدأت حملات المسلمين غير العرب لشبه القارة الهندو باكستانية على يد سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية والذي كان غلاماً لألبتكين صاحب غزنة، جلب من تركستان إلى بخارى فنيسابور، ثم خلف سيده عليها عام ٣٦٧هـ/ ٩٦٦م، وبعد وفاته في شعبان ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م خلفه ابنه محمود الغزنوي الذي واصل حملاته على أرض شبه القارة، فغزاها سبع عشرة غزوة على مدى سبعة وعشرين عاماً فيما بين عامي ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م و ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م. (انظر تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم- الجزء الأول ص ٧٦، ٧٧، ٧٨ وكتاب هندوستان پر اسلامي حكومت- ص ١١٧).

(٣) بحث في "مجالات الدراسات الأدبية المقارنة بين الأردية والعربية والفارسية" للدكتور إبراهيم محمد إبراهيم.

(٤) تاريخ الأدب الأردني من البداية حتى عام ١٧٥٠م ج/١، الطبعة السادسة، صفحة: ٤.

(٥) ما تقارب تسع عشرة لغة بعضها من خارج شبه القارة الهندو باكستانية كالتركية، والإنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، وبعضها من داخل شبه القارة - وهي اللغات المحلية- كالسنسكريتية، والبنجابية، والهريانية، وبرج بهاشا، وكهرى بولى وغيرها. (الحاشية مقتبسة من مقال "مجالات الدراسات الأدبية المقارنة بين الأردية والعربية والفارسية").

أما من حيث استعمالها فهي في المرتبة الخامسة بعد الإنجليزية، والفرنسية، والأسبانية، والعربية، وتقف في الصفوف الأولى من مجموع اللغات الموجودة في العالم والبالغ عددها حوالي أربعة آلاف لغة. والأردية لغة باكستان القومية وهي لغة ثانوية في الهند، وقد سميت اللغة بالأردية في عهد الملك شاه جهان^(١)، فقبل لها تارة (زبانِ أُرْدو) أي اللغة الأردية، وتارة (الأردو المُعلَّى) حتى استقر على كلمة (أردو) فقط^(٢).

الاسم (أردو) والاختلاف في معانيه وأصله اللغوي

قد اختلفَ في معنى الكلمة (أردو) كما اختلف في محل نشأة اللغة ذاتها، وسنتناول هذا الاختلاف بعد أن ننقل الاختلاف في مسميات ومعنى كلمة (أردو):

١- تتناول كتب التاريخ أن ملوك المغول في عهد جنكيز خان وأولاده كان يطلق على مستقر حكومتهم (أردو)، وكذلك حين كانوا يقيمون في مقامٍ ما مع عسكرهم كانوا يسمون ذلك المقام (أردو)، ويقال: أن الخيم الذهبية التي كانوا ينزلون فيها كانت تسمى (الأردو المطلق) (Golden Horden)، وقد انتشر الاسم آنذاك في شبه القارة الهندية فكانوا يستعملونه في معنى المعسكر^(٣).

٢- في قاموس اللغة الأردية المسمى بجامع فيروز اللغات نجد تحت الكلمة أردو صفحة ٨٢ ما ترجمته: كلمة أردو تركية الأصل، وتعني الجيش أو المعسكر، أو مكان إقامة المعسكر، وهي اللغة المشتركة بين باكستان والهند الناشئة بمزيج من لغات أخرى....

ويقول الحافظ محمود الشيراني وهو أحد المحققين في تاريخ اللغة الأردية أن اللفظ (أردو) نجده في اللغة التركية بعدة صور منها: (أورد، أورده، أوردو، وأخيراً أردو) ومعناه: الجيش، جزء من

(١) شهاب الدين محمد بن نور الدين شاه جهان، السلطان الأعظم والحاقد المكرم ابو المظفر شهاب الدين محمد صاحب المقام السامي شاه جهان خليفة المسلمين . المشهور بلقب شاه جهان (أي ملك الدنيا بالفارسية) (٥ يناير ١٥٩٢/١٥٠٠هـ - ٢٢ يناير ١٦٦٦/١٠٦٧هـ) هو أحد حكام الهند في القرن الحادي عشر الهجري. أشهر ما ترك هو تاج محل، ضريح زوجته ممتاز محل (<http://ar.wikipedia.org>).

(٢) ما بين المعقوفتين مترجم ومقتبس من كتاب "تاريخ اللغة والأدب الأردّي" للبروفيسور حميد الله الهاشمي صفحة ٣٩.

(٣) مترجم ومقتبس من كتاب "تاريخ اللغة والأدب الأردّي" للبروفيسور حميد الله الهاشمي صفحة ٤٠.

الجيش، المعسكر، وكذلك يطلق على: الخيمة، السوق، القصر، القصر الملكي، القلعة الملكية، أما البعض فينكرون أصل هذا اللفظ التركي، إنما ينسبونه إلى اللغات الهندوألمانية^(١).

٣- قديماً وقبل أن يختص الاسم (أردو) بهذه اللغة كان يطلق عليها اللغة الهندية أو الهندوية، وريخته وغيرها من الأسماء كاهندوستانية، والحقيقة أن الأردية كانت تسمى بأسمائها المحلية فكلما ذهب إلى مقام انتسبت إليه، فكانت البنجابية، والدكنية، والكجراتية، والدهلوية، بينما هي في الحقيقة (أردية)، ولعل ذلك أن لهجات تلك المناطق وكلماتها أيضاً دخلت فيها فسميت كذلك، وعلى قول البعض أن علاقة الأردية من حيث انتسابها إلى المقامات المذكورة أعلاه إنما يرجع إلى انتشار اللغة الأردية فيها، ونستنتج أن المسميات المختلفة للغة الأردية تظهر الحالات التطويرية التي تعرضت لها اللغة، وكان القادمون من البلاد البعيدة يسمون الأردية، (الهندية)، وأودُّ أن أشير هنا أن البعض ما زال يطلق عليها اسم الهندية، ولكن الحقيقة أن الهندية باتت تعرف على أنها لغة مختلفة عن الأردية رغم التشابه الكبير بين اللغتين إلا أن الهندية تختلف كونها تكتب برسم خط مختلف، وعلى كلِّ حال فكل تلك المسميات أصبحت متروكة، وبقت الكلمة (أردو) تاجاً على رأس اللغة التي بها تعرف الآن...

نشأة اللغة الأردية

اختلف المؤرخون في بدايات اللغة الأردية اختلافاً كبيراً من حيث محل وجودها ومصدرها، ولذا نجد كتب التاريخ الأردني مليئة بآراء كثيرة حول هذا الموضوع، ورغم وجود اختلافات في هذا الأمر إلا أن أغلب الآراء تتفق على أن نشأة اللغة الأردية كانت على أيدي فاتحي الهند المسلمين، وسنتناول في الأسطر الآتية بعض هذه الآراء:

(١) مترجم ومقتبس من كتاب "تاريخ اللغة والأدب الأردني" للبروفيسور حميد الله الهاشمي صفحة ٤١.

١- يقول نصير الدين الهاشمي^(١): ابتدأت اللغة الأردية في (دَكَّن) ^(٢) لوجود روابط تجارية قائمة بين تجار العرب والهنود، ونتيجة اختلاطهم ظهرت بوارد اللغة، إلا أن الرأي رَدُّ من قبل بعض المحققين وهو: الدكتور غلام حسن ذو الفقار بقوله: بأن العلاقات العربية الهندية كانت سطحية بين التجار، إلا أننا لا ننكر النتائج الفكرية على اللغة جراء هذا الاختلاط، ويضيف أن علاقة اللغة الأردية بدكن ليست علاقة ابتداء، بل علاقة ارتقاء^(٣).

٢- يرى السيد سليمان الندوي رحمه الله: أن بداية اللغة الأردية تعود إلى بلاد السند^(٤)، لأنها كانت المحطة الأولى للمسلمين الفاتحين، وقياسا عليه فلعل بوارد اللغة الأردية ظهرت هنا^(٥).

٣- ويقول الحافظ محمود شيراني -وهو أحد المحققين المعترف بهم في بحوث اللغة الأردية-: تعود بداية اللغة إلى (بنجاب)^(٦) بسبب حملات محمود غزنوي وشهاب الدين غوري المتكررة على الهند (١٠٠٠م-١٠٢٦م)، ونتيجة ذلك قامت حكومة المسلمين الناطقين بالفارسية في (بنجاب)، وأقام الفاتحون حوالي مائتي سنة هناك، وخلال هذه المدة نبتت بذور الأردية،

(١) في كتابه: (دَكَّن مین اردو) صفحة ٣٢-٣٣.

(٢) إقليم جنوب الهند يحدد من الوجهة التاريخية بجميع أراضي الهند الواقعة جنوب نهر ناربادا وفي معناه الأضيق يقصد به الهضبة الواقعة وسط شبه الجزيرة الهندية فيشمل ولايات كارناتكا وأكلها وجنوب اندرا برادش وجنوب ماهاراشترا وش تاميل نادو وتكثر زراعة القطن بهذا الإقليم لخصب تربته البركانية (ويكيبيديا).

(٣) مترجم ومقتبس من (تاريخ أدبيات مسلمي باكستان والهند)، ٦٣/٦-٦٤.

(٤) السند (بالأردو: سندھ) هي إحدى أقاليم باكستان الأربع. عاصمة الإقليم هي مدينة كراتشي والتي تعد أكبر مدن البلاد. يجاور الإقليم من الشمال و الغرب إقليم بلوشستان، و تجاورها أيضا من الشمال إقليم البنجاب، أما من الشرق فتجاورها الهند. من الجنوب يطل الإقليم على بحر العرب. (ويكيبيديا).

(٥) كتاب نقوش سليمان للسيد سليمان الندوي رحمه الله صفحة ٣١، الطبعة الثانية.

(٦) البنجاب منطقة بين الهند وباكستان. وتعني كلمة بنجاب: "الأنهار الخمس" بيس، راوي، سُتلج، تشناب وجهلم؛ كلها روافد نهر السند، جهلم هو أكبرهم. البنجاب لها تاريخ طويل وتراث ثقافي غني. شعب البنجاب يسمى البنجاب ويتحدثون لغة اسمها البنجابية. الأديان الرئيسية في منطقة البنجاب هي السيخية، والإسلام والهندوسية، والقسم الأكبر من البنجاب مملوكة لباكستان (٦٥ ٪ و ٣٥ ٪ تسيطر عليه الهند) وهي أرض السيخ التاريخية حيث ولد فيها معلمهم الأول كُرو نانك مؤسس معتقدهم. (ويكيبيديا).

وكذلك تناول الحافظ محمود شيراني واستدل في تحقيقه بالصرف والنحو والتشابه بينهما في اللغتين الأردية والبنجابية، وهذا هو الرأي الذي يميل إليه الكثير حتى الآن.

يظهر مما سبق اختلاف المؤرخين في بدايات هذه اللغة، والحقيقة أننا لو قرأنا ما كتبه الدكتور جميل جالبي في كتابه تاريخ الأدب الأردني الجزء الأول صفحة ٣-٤ سيزول ما يلتبس على القارئ مما قرأ أعلاه!

يقول الدكتور جميل جالبي أحد رواد الأدب الأردني ومؤرخيه: أن هذه اللغة وصلت مع المسلمين أينما حلُّوا فكانت هيئتها من خلال تأثيرات المنطقة اللسانية عليها، تكوَّنت في السند وملتان، ثم ارتقت قليلا في بنجاب، ثم وصلت بعد مائتي سنة تقريبا إلى دهلي ومن هناك اختلطت باللغات المحلية وانتشرت في شبه القارة الهندية، فحينما حلت بالكجرات، قيل عنها الكُجرية، وفي دكّن سميت بالدكنية، فمن قائل أنها الهندية، ومن معبّر عنها أنها اللغة اللاهورية أو الدهلوية، وعلى هذا القياس أنيطت اللغة ببرج بهاشا، وكهري بولي، والبنجابية والسندية والسرائيكية على التّوالي، فكل هذه الأمور والدّعاوي في انتساب اللغة إليها لدليل على أن الأردية اقتبست نورها واكتسبت فيضها من جميع المناطق واللغات السائدة فيها ثم انفردت بهيئتها الجميلة، لذا هي لغة اللغات الموجودة في شبه القارة الهندية^(١).

هل اللغة الأردية لغة مسلمي القارة الهندوباكستانية فقط؟

تعتبر اللغة الأردية لغة لصيقة بالمسلمين، ومن هنا قامت الدنيا وقعدت فالهندوس لا يحبونها لتعصبهم تجاه الإسلام والمسلمين، حيث أنهم كما يقول الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم: [...] يظنون أن اللغة الأردية لغة دخيلة على شبه القارة الهندو باكستانية نشأت وترعرعت في ظل "الاحتلال الإسلامي" لها، وبالتالي فإن بقاء هذه اللغة في البلاد يعد استمرار لمظاهر هذا الاحتلال وهو ما لا يليق بأمة عريقة كالأمة الهندية، ولذا ينبغي التخلص من هذه اللغة باعتبارها لغة المسلمين فقط. في حين

(١) تاريخ الأدب الأردني من البداية حتى عام ١٧٥٠م ج١، الطبعة السادسة، صفحة: ٣-٤.

أن أرجح الآراء- ومن بينها آراء لنقاد هندوس معتدلين^(١) تشير إلى أن اللغة الأردنية لغة هندية^(٢) أصلية كان لها وجود كامل قبل دخول المسلمين إلى البلاد فاتحين، وإن لم تكن تسمى بالأردنية في ذلك الوقت^(٣)، وإنما كانت كفتاة وثنية لها طقوس وعادات مرتبطة بديانتها وبيئتها، وجاء المسلمون فغيروا من طباعها الوثنية هذه، وهذبوا تقاليدها وعاداتها، وألبسوها حلية إسلامية فتغيرت ملامحها إلى الأفضل، رغم أن هيكلها وجسدها كما هو، وهذا بالضبط ما حدث مع الأردنية التي كانت تسمى في ذلك الوقت- غالباً- باسم "كهري بولي" أي: اللغة المكسرة أو العامية.

وعندما دخل المسلمون البلاد دخلت هذه اللغة أسماء وصفات عربية وفارسية وتركية حلت محل نظيرتها الأصلية، أو استعملت معها جنباً إلى جنب، فتغير شكل اللغة وإن بقيت قواعدها وأفعالها وحروفها^(٤) كما هي هندية أصيلة.

ثم إن الأردنية عندما وصلت إلى مرحلة الإنتاج الأدبي كان لا بد لها من مرشد تقتدي به وتستقي منه إلى أن تصل إلى مرحلة تعتمد فيها على نفسها، فكانت اللغة الفارسية هي ذلك المرشد، ولم يكن ذلك بالأمر العجب- فالفارسية في تلك الفترة- معظم فترة الحكم الإسلامي لشبه القارة الهندو باكستانية- كانت لغة البلاط واللغة الرسمية للبلاد^(٥)، إضافة إلى كونها أقرب إلى الأردنية مزاجاً وتكويناً باعتبار أن كلا اللغتين من أصل واحد، فأخذت الأردنية باعتبار ما سبق عن الفارسية بطبيعية تامة، وأعطتها الفارسية بطبيعية تامة أيضاً.

وكانت اللغة الأردنية في بداية عهدها ولفترة بسيطة كتبت بالأحرف الديوناكرية^(٦) ثم لما تفرّعت كتبها الفارسيون بالخط الفارسي، وعندما بدأ العهد الإنجليزي صبها الإنجليزيون في قالب الحروف

(١) مثل جترجي- هيم جندر وغيرهما.

(٢) المقصود بأنها هندية هو أن اللغة الأردنية ليست دخيلة على شبه القارة الهندو باكستانية، بل هي نابعة من داخلها.

(٣) يميل مؤرخو الأدب إلى أن لغة كهري بولي هي الأساس الذي بنيت عليه اللغة الأردنية بشكلها الحالي.

(٤) المقصود هنا حروف الجر والإضافة وغيرها وليس الشكل الكتابي للحروف.

(٥) المقصود هنا لغة الحكومة الإسلامية المركزية التي كانت تحكم في شمال الهند من العاصمة دهلي، (منذ الغوريين، والمماليك، والخلجيين، وآل تغلق واللوهيين ثم الدولة المغولية) إذ أن الفارسية لم تكن اللغة الرسمية لغالب الدويلات الإسلامية المستقلة في

الدكن (الدولة العادل شاهية- القطب شاهية- النظام شاهية) وإنما كانت الأردنية هي اللغة الرسمية لهذه الدويلات.

(٦) الأحرف الديوناكرية أحرف تختلف تماماً عن الأحرف العربية.

الإنجليزية، فكما أن اللغة الأردية يقال لها الأردية والهندية أو الهندوستانية فرسوم خطها أيضا الديوناكرية والحروف الفارسية والإنجليزية^(١)، أما الأسباب التي عرّفت الأردية على أنها لغة المسلمين، يحصرها لنا الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم في النقاط التالية:

١- أن الأردية تطورت تطوراً كبيراً في ظل الحكومات الإسلامية المتعاقبة التي حكمت شبه القارة الهندو باكستانية^(٢).

٢- أن الأردية حظيت برعاية بلاط الحكومات الإسلامية خاصة حكومات الدكن^(٣).

٣- أن مشاركة الأدباء والشعراء المسلمين في إنتاج اللغة والأدب الأردّي تفوق بكثير مشاركة غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

٤- دخول الكثير من الألفاظ والتراكيب والمصطلحات العربية والفارسية والتركية ذات الصبغة الإسلامية إلى اللغة الأردية بجانب الكثير من الألفاظ والتراكيب والمصطلحات غير الدينية من اللغات ذاتها.

(١) مقتبس ومترجم من موضوع "أردو رسم الخط" للبروفيسور محمد سجاد مرزا، المنشور في كتاب (أردو رسم الخط) صفحة: ١٦٥، والكتاب عبارة عن مقالات منتخبة نشره مركز مقتدره قومي زبان - إسلام آباد.

(٢) من الجدير بالذكر أن اللغة الفارسية ظلت اللغة الرسمية لشبه القارة الهندو باكستانية حتى بعد أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى أن ألغتها شركة الهند الشرقية من البلاد بعد أن استحكم نفوذها وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من حكم البلاد، وأحلت محلها اللغة الأردية، ومع ذلك فقد أبدى بعض من سلاطين الدولة المغولية بشبه القارة اهتمامهم الشديد باللغة الأردية حتى أن (بهادر شاه ظفر: توفي ١٨٦٢م) آخر السلاطين المغول كان شاعراً مجيداً بالأردية، وترك لنا بها شعراً كثيراً - انظر كتاب ترجمه اور اس كے مسائل - د/ اعجاز راهي - ص ٤٥ إسلام آباد - باكستان ١٩٩٠م.

(٣) خاصة في عهد الدولة العادلشاهية في منطقة بيجابور والتي تأسست عام ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م على يد السلطان يوسف عادل شاه وانتهت بقضاء أورنكزيب عليها وضمها إلى الدولة المغولية عام ١٠٩٦هـ / ١٦٨٥م)، وكذلك في عهد الدولة القطب شاهية بمنطقة كولكنده والتي تأسست عام ٩١٦هـ / ١٥٠٩م على يد السلطان قلى قطب شاه وانتهت هي الأخرى بضمها إلى الدولة المغولية على يد أورنكزيب عام ١٠٩٨هـ / ١٦٨٧م، وكذلك الدولة النظام شاهية (أحمد نكر) بالدكن والتي أسسها أحمد نظام شاه بحري عام ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م، وضمها المغول عام ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م) وظهر في عهد هذه الدول المسلمة التي حكمت في جنوب الهند العديد من الشعراء الكبار في اللغة الأردية حتى أن كثيراً من سلاطين الدولة القطب شاهية - على سبيل المثال - كانوا شعراء كبار، وتركوا لنا دواوين وكتابات، وعلى رأسهم محمد قلى قطب شاه (٩٨٨هـ / ١٥٨٠م - ١٠١٨هـ / ١٦١٠م) الذي يعد صاحب أول ديوان بالأردية. (انظر تاريخ أدب أردو - عظيم الحق جنيدي - ص ٢١٤ - دهي - الهند ١٩٨٠، وكتاب هندوستان پر اسلامي حكومت - من ص ٥٤٠ حتى ص ٥٦٠).

٥- استقرار الأردية على اتخاذ الحروف العربية الفارسية خطأ لها^(١).

٦- اعتزاز المسلمين دون غيرهم من أهل شبه القارة الهندو باكستانية بالحديث والكتابة بالأردية.

٧- اتخاذ باكستان من الأردية لغة قومية لها^(٢) ^(٣).

ولو قلبنا صفحات التاريخ الماضية نرى أن الآريين حين دخلوا الهند قبل آلاف السنين أتوا ومعهم لغتهم الجديدة في هذه المنطقة، ولأنها كانت لغة الفاتحين الآريين جعلوها قديسة، ولعلمهم فعلوا ذلك لإثبات أفضليتهم وأفضلية لغتهم على اللغات المحلية، حتى أنهم تمادوا في هذا الطغيان والوحشية في تقديسها، ومن قبل ذلك كانوا قد قسموا الناس بين القديس والدنيء، حيث كانوا يقولون (شودر) لذوي الطبقات الدنية، وحيال ذلك هناك تقسيم وارد في كتبهم الدينية^(٤)، وقد كانوا يصبون الآنك في أذن من سمع السنسكريتية يدعون بألا حق لهم حتى في سماعها، ولعل كان ذلك سبب في تجميد الحركة التطويرية للغة، أما المسلمون فإنهم حين دخلوا الهند فاتحين دخلوها فلم يطغوا فيها، ولم يقسموا سكانها إلى طبقات، بل الكل كانوا لديهم سواسية، ولما كانت العربية والفارسية لغتهم امتزجت الكلمات مع اللغات المحلية فكانت الأردية، ويذكر التاريخ أن قاطني شبه القارة حين رأوا سماحة المسلمين وأخوتهم بدؤوا يتعلمون اللغتين العربية والفارسية، فكان منهم من أصبح من علماء الفارسية...^(٥).

(١) كتبت اللغة الأردية في بداية أمرها ولفترة بسيطة بالحروف (الديوناكري) الهندية، ولم تكن تسمى بالأردية في ذلك الوقت. (أنظر اردو لسانيات- د/ شوكت سبزواري- ص ٧٤- كراتشي- باكستان ١٩٦٦م.)

(٢) اللغة الأردية لغة باكستان القومية والعلمية والثقافية، لكنها إلى الآن ليست اللغة الرسمية. (مجلة أخبار اردو- إصدار (مقتدره قوى زبان) مجتمع اللغة القومية- إسلام آباد- باكستان- المجلد ١٥- العدد ١٢ ديسمبر ١٩٩٨م ص ٦).

(٣) بحث في "مجالات الدراسات الأدبية المقارنة بين الأردية والعربية والفارسية" للدكتور إبراهيم محمد إبراهيم.

(٤) قسم الهندوس أنفسهم في أربع طبقات، وحسب اعتقادهم فإنها تقسيمات أبدية، وهي في (قوانين منو) على النحو التالي:

١- البراهمية: وهم الذين خلقهم الإله (براهما) من فمه، منهم المعلم، والكاهن، والقاضي، ولهم يلدأ الجميع في حالات الزواج وغيرها من الحالات، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرته.

٢- الكاشتر: وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه، يتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع.

٣- الويش: وهم الذين خلقهم الإله من فخذه، يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية.

٤- الشودر: وهم الذين خلقهم الإله من رجله، وهم مع الزوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة، ويمتهنون المهن الحقيرة والقدرة. [مقتبس من كتاب: (المهاثما غاندي محرر المهورين)

لعصام عبد الفتاح ص ٣٦، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م دار الكتاب العربي].

(٥) مقتبس ومترجم من مقالة بالأردية لمحمد معين الدين الوردائي من كتاب [أردو رسم الخط - المقالات المنتخبة] ص ٨٥-٨٦.

الألفاظ العربية في اللغة الأردنية

هذه بعض الألفاظ العربية التي تستعمل في نفس المعنى العربي، وقد اخترت هذه الكلمات اختياراً عشوائياً، ويرجى الملاحظة أن اللغة الأردنية العامية تختلف عن اللغة الأردنية الأدبية، وهناك ألفاظ قد تستخدم في الكتابات الأدبية ولكنها متروكة في الحديث العامي، وألفاظ عربية موجودة في روح اللغة لكنها تُركت حتى في الأدب، ولعلي أستطيع أن أقول أن المدارس الإسلامية العربية الموجودة في باكستان ودول العالم التي تُدرّس في اللغتين العربية والأردنية تستعمل بعض الاصطلاحات المتروكة أيضاً في شرح للأحاديث أو المسائل العلمية والفقهية، وهذا موضوع يمكننا تناوله على حدة، وسأدرج في السطور الآتية الكلمة الأردنية وأذكر أصلها العربي، وهذا غيضٌ من فيض:

إباحَت من الإباحة، إبتدا من الابتداء، أمانَت من الأمانة، خيانت من الخيانة، تأخير، جاسوس، جاذب، حاجت من الحاجة، حرام، حلال، موضوع، حد وحدود، صحيح، حديث صحيح، حديث ضعيف، حُدي، حساب، حُسن، حق، حقوق، حصار، حِكْت من الحكمة، وكذلك يطلق (حكمت) على العلاج بالأعشاب، أو الطب الشعبي، خِدِمت من الخدمة، خيال، موجود، صحبت من الصحبة، فخر، افتخار، فضيلت من الفضيلة، المؤاخذة، أَبَثَر في نفس المعنى العربي وله عدة معانٍ أخرى، أبدُ، بطل، وأبطال، وإبطال، أبناء، ابن الأخ، ابن الأخت، ولعل مثل هذه المصطلحات تستخدم في شرح مسائل الميراث فقط، خبر، أخبار ويستعمل هذا اللفظ للصحيفة أيضاً، خير، اختيار، اختتام، اختراع، اختصاص، اختلاط، اختلاف، إخراج، إخلاص، أخلاق، إداره، من الإدارة، أدب، وآداب، أدبي، أديب، إذن، ارتباط، ارتجالاً، ارتحال، ارتكاب، إرث، إرسال، أركان، روح وأرواح، البتة، الوداع، التزام، اشتباه، التجاء، الحاد، إلحاق، إلحاح، إلصاق، الحاصل، الغرض، المختصر، المدد، النادر كالمعدوم، المعنى في بطن الشاعر، المرء يقيس على نفسه، الفقرُ فخري، والانتظار أشد من الموت، الأمر فوق الأدب، المكتوب نصف الملاحظات، ويعني أن الرسالة تعني نصف اللقاء، المنة لله، خذ ما صفا ودع ما كدر، منهجٌ عنه، والحقيقة أن هناك عدد لا يحصى من الكلمات العربية التي كانت وما زالت تُزيّن جبهة اللغة الأردنية بضيائها وبهائها، وقبل أن أختم الموضوع أستعرض ثلاثة أبيات شعرية كتبتها باللغتين الأردنية والعربية، وسأذيلها بالترجمة:

كبهى تم نه جانا كبهى تم نه سوچا؟ لماذا انتشر كل هذا الخراب؟
لماذا انفلق قمر دين السلام؟ جدا هم بهوئے كيون مجھے دو جواب
"قرآن رب وكعبه نبى اك مسلمان ہیں دو" (إنّ هذا لشيءٌ عَجَاب)

فحوى الأبيات: أفكرت يوما ما: لم هذا الانحطاط الذي نعيشه نحن المسلمون؟ أجبني لماذا انفلق قمر
السلام والإسلام فلقتين؟ إنّ ربنا وقرآننا ونبينا واحد لكننا نعيش مختلفين، إنّ هذا لشيءٌ يدعو إلى
العجب حقاً.

وأخيراً أنقل لكم قصيدة مزيجة بالعربية والأردية وهي لرئيس هيئة التدريس سابقاً بدار العلوم
ديوبند بالهند القاري طيب رحمه الله، وهي قصيدة أكثرها بالعربية لكن قافيتها تنتهي بألفاظ أردية،
وكنت قد سمعتها من أحد أساتذة والدي في باكستان، وهأنذا أنقلها من ذاكرتي، ولعل هناك بعض
الخلل في الوزن، لكني وددت نقلها كما هي دون أن أضيف شيئاً، ورغم أنها موجودة في ديوان القاري
طيب رحمه الله المطبوع في الهند إلا أنني لم أستطع الوصول إليه، وسأشرح الكلمات الأردية بعد كل
بيت حتى يتضح المعنى المراد:

يقول القاري طيب رحمه الله :

ألا يا صديقي اترك الدهر كله فإنّ متاع الدهر كله لغو وبوكس
كلمة (بوكس): بالأردية (بوكس)، كلمة إنجليزية الأصل (Bogus) وتأتي في معنى مرادف للغو
والباطل وبالتحديد يقال لشيء: غير حقيقي.

تركت لذيذ العيش من غير فكرة شربت شراب الزهد والشّيح شوّكس
كلمة (شووكس) بالأردية (چوكس) وتأتي في معنى المتنّب واليقظ.

وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَزُورَ مُرَبِّيًا وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدِي كَارٌ وَلَا بَسٌ

هنا كلمتين أرديتين في نهاية البيت (كَارٌ) وتعني السيارة، إنجليزية الأصل (Car)، أما (بَس) فهي أيضا إنجليزية (Bus) أي: الباص.

فهذا زمان الجهل والغَيِّ والعمى وَإِنْ تَجْتَنِبْ تُدْعَى بِأَنَّكَ بَسٌ بَسٌ

كلمة (بَسٌ بَسٌ) بالأردية (پهس پهس) (Phus Phus) بدمج الهاء مع الباء المثلثة، وتنطق الباء المثلثة كما الحرف الإنجليزي (P) والكلمة تستعمل للصوت الخفيف، أو هو اسم للحديث الخفي الذي يدور بين شخصين، ولعل المراد هنا الشخص الأحمق أو الأبله.

وقد تَمَّ هذا النظم مرتجلا به في أوَّل يوم من الشهرِ وهو أُغُسْطُسُ

(أُغُسْطُس) معربة من (August) وبالأردية (اگست)، استعملها هنا معربة.

وصلی اللہ وسلم علی سیدنا ونبینا محمد وعلی آلہ وصحبہ أجمعین.

راسخ کشمیری

المدينة المنورة

مدونة راسخ کشمیری

www.rasikh.net

@Raasikh

البريد الالكتروني: raasikh@gmail.com

المصادر والمراجع

المصادر الورقية

١. قواعد أردو، للدكتور المولوي عبد الحق.
٢. بحث في "مجالات الدراسات الأدبية المقارنة بين الأردية والعربية والفارسية" للدكتور إبراهيم محمد إبراهيم.
٣. جامع فيروز اللغات، قاموس أردي-أردى، رتبة الحاج المولوي فيروز الدين رحمه الله.
٤. تاريخ الأدب الأردى من البداية حتى عام ١٧٥٠م، للدكتور جميل جالبى.
٥. "تاريخ اللغة والأدب الأردى" للبروفيسور حميد الله الهاشمى .
٦. دَكَّن مین أردو، لنصير الدين الهاشمى.
٧. تاريخ أدبيات مسلمى باكستان والهند.
٨. نقوش سليمانى، للسيد سليمان الندوى رحمه الله.
٩. مجموعة مقالات منتخبة بعنوان أردو رسم الخط، مجتمع اللغة القومية- إسلام آباد- باكستان.
١٠. المهاتما غاندى محرر المقهورين، لعصام عبد الفتاح.

المصادر الإلكترونية

١. www.tebyan.net
٢. <http://ar.wikipedia.org>